

أساليب إيطاليا المُمهدة لاحتلال ليبيا

الأستاذ: لزعر نبيل

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان

رقم الهاتف : 05 51 62 39 30

ملخص:

بعد تحقيق إيطاليا لوحدها القومية سنة 1870 تطلعت للحصول على مستعمرات على غرار باقي الدول الأوروبية، فتوجهت أنظارها إلى البحر الأحمر والشرق الإفريقي باحتلالها ارتيريا والصومال الإيطالي متجهة نحو إثيوبيا غير أن انهزامها في معركة عدوة 1896 جعلها تتجه لاحتلال ليبيا، خاصة بعد خضوع تونس للسيطرة الفرنسية.

تميزت أوضاع ليبيا في أواخر العهد العثماني الثاني بضعف التحصين العسكري لاسيما بعد سحب الحامية التركية قبيل الاحتلال وضعف الولاة وقصر مدة حكمهم إضافة إلى سنين المجاعة والكوليرا، وبوصول الاتحاديين لحكم الدولة العثمانية سنة 1908 زادت الهوة بين السلطة العثمانية والليبيين بفعل سياسة التريك التي انتهجوها بالرغم من ذلك التفاهم الذي كان بين السنوسيين والعثمانيين في برقة.

دخلت إيطاليا في شبكة من التحالفات والاتفاقيات مع الدول الأوروبية ومساومتها للانفراد بليبيا، فدخلت في حلف مع ألمانيا والنمسا 1882 لمواجهة فرنسا وروسيا ثم عقدت اتفاقية مع بريطانيا 1883 تساند أعمالها في مصر مقابل دعم بريطانيا في ليبيا، ثم نجحت في افتكاك اعتراف من حكومة النمسا بإطلاق يدها على ليبيا، وبعد اعترافها بالاحتلال الفرنسي لتونس عقدت اتفاقية مع فرنسا سنة 1902 تشير إلى إطلاق يد فرنسا على مراكش نظير تصرفها في ليبيا، بعدها انتهزت فرصة ضم النمسا للبوسنة والهرسك بعقد اتفاق سري مع روسيا ينص على تأييد مطلب روسيا في فتح مضائق البوسفور والدردنيل أمام سفنها وتعهدت روسيا بتأييد مطلبها في ليبيا، وعقب هذه التمهيدات في الحقل الدبلوماسي أخذت تتغلغل في الأراضي الليبية ببناء المدارس المخصصة للنشاطات التبشيرية وإرسال البعثات العلمية لرسم الخرائط والجواسيس لجمع المعلومات عن السكان وعلاقاتهم بالسلطة، كما قامت بإنشاء خطوط بحرية بين

إيطاليا وليبيا وإقامة فروع لبنك روما بالمدن الليبية للاستيلاء على أراضي الليبيين ومراكز البريد للتخطيط للاحتلال، وبعد أن خلقت لنفسها الجو المناسب بفرض نفوذها السياسي والاقتصادي والثقافي بالبلاد أعلنت الحرب لغزو ليبيا سبتمبر 1911. الكلمات المفتاحية : إيطاليا – ليبيا – الأوضاع – الاتفاقيات – التغلغل.

Summary :

By the end of 1870, Italy obtained its strong unity . moreover, it wished to dominate other parts of colonies as a result it focused its political objective on the red sea and the african east where it colonized iretiria, italian somaly and ethiopia, in 1896, Italy had a great failure through adoua war when it started to change its direction through colonizing lybia.

By the end of the second othman reign the lybian society was so poor and weak concerning the military side especially after the failure of the turkich failure and their short time of reign besides the spread of poverty and disease as cholera , in 1908 , the unifiers ruled the othman country as a result there was a great misunderstanding between the othman governors and the lybians despite the confidence that was between the sounousia and othmans in berka.

Later Italy engaged in meetings and negociations with the european countries. It was first done with German and Austria in 1882 against France and Russia. Later it established a meeting with Great Britain in 1883 concerning its tasks in Egypt then the British helpful in lybia for Italy.

Italy succeeded to get a political agreement from the Austria government concerning the lybian colonist. In addition, Italy encouraged France to colonize Tunisia then it pointed a meeting with France in 1902, to agree for dominating Marakash as a new French colony, later , Italy engaged a secret meeting with Russia to ask for opening the Bosfore and Derdanile rivers for its boats, Russia promised to do the best for Italy, after all these friendly and helpful meetings, Italy started to rule and to govern the lybian land where it built religious schools, it sent scientific researchers for drawing maps and to send people to collect information about citizens and their relationship with government, it also built a seaside line between Italy and lybia and it established small banks from (Roma bank) in lybian towns in order to dominate the other parts of lybia.

After the hard work, Italy became strong and powerful politically , economically and culturally. As a result , it confirmed war in lybia in 1911 on September.

The key words : Italy - lybia – the atmosphere- the agreements – domination.

تمهيد :

بعد أن تمكنت إيطاليا من بناء وحدتها القومية سنة 1870 تطلعت بأنظارها إلى الطرف المقابل لها على البحر المتوسط للحصول على نصيب في الحركة الاستعمارية التي بدأتها الدول الأوروبية في شمال إفريقيا.

رغب الإيطاليون تونس بعد أن احتلت فرنسا الجزائر في 1830م غير أن احتلال فرنسا لها أثر كثيرا فيهم واعتبروا ذلك ضربة موجعة لمصالحهم في البحر المتوسط وأدى بشعور خيبة أمل في إيطاليا، فأرادوا أن يعوضوا ما فاتهم بالتوسع في منطقة البحر الأحمر وشرق إفريقيا، مما ترتب عليه قيام مستعمرة إريتريا والصومال الإيطالي واتجاه الأطماع الإيطالية إلى إثيوبيا، ولم يوقفها إلا هزيمتها العنيفة في موقعة عدوة سنة 1896م فرأت أن طرابلس الغرب هي المنفذ الوحيد بها، فطرابلس تقع على مسافة قريبة من إيطاليا ولها أهمية استراتيجية في البحر المتوسط، وقد ساهم ضعف الدولة العثمانية في دخول إيطاليا حلبة الصراع موجهة أنظارها إلى ليبيا، فأصبحت ليبيا كغيرها من الولايات العثمانية مهددة، ورغم اهتمام إيطاليا بها منذ أواخر النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلا أن احتلالها تم في سنة 1911 ومن هنا نطرح التساؤل التالي : كيف استطاعت إيطاليا أن تحصل على مستعمرة ليبيا أمام القوى الدولية الأوروبية ؟ وما هي الأساليب التي اتبعتها في ذلك ؟.

1- أوضاع ليبيا أواخر العهد العثماني الثاني :

تشكلت ليبيا الحديثة بحدودها المعروفة الآن في ظل الاستعمار الإيطالي، وفي العهد السابق لم يكن استخدام كلمة ليبيا شائعا بل تعرف بولايي برقة وطرابلس، وفي العهد العثماني كانت إدارة الولايتين مقصورة تقريبا على المناطق الساحلية¹. تولى شؤون ليبيا خلال العهد العثماني الثاني 1835 و 1911 وهي السنة التي هاجمت فيها إيطاليا ليبيا ثلاثة وثلاثون واليا، بينهم ثلاثة حكموا نحو ثلاثين سنة، وأما الباقيون فقد

¹ - صلاح العقاد ، ليبيا المعاصرة ، المطبعة الفنية الحديثة ، 1970 ، ص 05.

كان معدل ولاية الواحد منهم أقل من سنة، فلم يكن باستطاعة هؤلاء القيام بعمل جدي في الولاية، يضاف إلى ذلك أن الكثير من هؤلاء الولاة لم يكونوا مقتدرين¹.

صرف الولاة العثمانيون كل وقتهم في ولاية طرابلس الغرب في محاولات مستمرة للقضاء على ثورات أهل البلاد لاسيما التي قامت في معظم أنحاء الولاية، فقد تزعم عثمان أغا الثورة في مصراته وفي يفرن في الجبل الغربي فقد كان قائد الثورة غومة المحمودي وفي فران عبد الجليل سيف النصر، وكانت هذه الثورات مظهرًا من مظاهر حب الحرية لدى القبائل العربية في ليبيا ورفض الخضوع للسيطرة الأجنبية، ونجحت في إجهاد سلطة الحكومة العثمانية في الولاية وإضعافها².

من سمات هذه الفترة من الحكم العثماني ازدياد النشاط الأوروبي في طرابلس إذ حاول القناصل الأوروبيين في هذه الولاية مثلما فعلوا في ولايات الدولة العثمانية عامة استغلال امتيازاتهم بحيث صار لهم دور كبير في إدارة الولاية.

وفي خلال هذه الفترة من تاريخ طرابلس الغرب انتشر السخط بين الأهالي فإن التنظيمات العثمانية التي صدرت منذ نهاية الثلث الثاني من القرن 19 كانت تقوم على تدعيم النظام المركزي وتشديد قبضة الدولة على ولاياتها وإلغاء ما كانت تتمتع به قبل ذلك من امتيازات، خصوصًا وأن ذلك في نظر الدولة هو الوسيلة الفعالة لمواجهة الأخطار الاستعمارية، ولذلك فإن الحكم العثماني في طرابلس الغرب كان يتسم خلال هذه الفترة بالمركزية رغم أن النظام اللامركزي كان هو الأنسب بحكم موقع الولاية³.

أثناء القرن التاسع عشر أصاب البلاد الكثير من الجفاف، وشر ما أصابها جاء في سنة 1872-1871 إذ لم تنتج البلاد شيئًا قط وفي سنة 1850م أصابت الكوليرا طرابلس فمات منها 800 في ثلاثة أشهر، وهاجر الكثيرون من البلاد إلى تونس ومالطا بسببها، وقد نقص عدد سكان مدينة طرابلس إلى أقل من 5000⁴.

¹ - نقولا زيادة ، محاضرات في تاريخ ليبيا من الاستعمار الإيطالي إلى الاستقلال ، المطبعة الكمالية ، نشر معهد الدراسات العربية العالية لجامعة الدول العربية ، 1958 ، ص 52.

² - هاشم خيالة سامي ، موقف الدول الأوروبية من الحرب الإيطالية الليبية 1911-1912. رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث ، جامعة سانت كلمنت ، بغداد ، العراق ، 2010 ، ص 26.

³ - منسى محمود حسن صالح ، الحملة الإيطالية على ليبيا ، دراسة وثائقية في إستراتيجية الاستعمار والعلاقات الدولية ، القاهرة ، دار الطباعة الحديثة ، 1980 ، ص 4 - 5.

⁴ - نقولا زيادة ، المرجع السابق ، ص 53.

كانت طرابلس خالية من جميع أسباب القوة والعمران، فقد جاء الاحتلال الإيطالي وهي لا يوجد فيها من أنواع المواصلات إلا طرق القوافل التي ألفتها الناس منذ ملايين السنين، ولا يوجد فيها من وسائل النقل إلى الجمال، ولا توجد فيها شيء من أنواع التعليم الحديث¹.

لم تكن الأحوال في برقة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر خيرا منها في طرابلس، فقد كان السنوسيون أصحاب الأمر في القسم الأكبر من البلاد، وكانت ثمة نوع من الاتفاق بينهم وبين الدولة العثمانية².

قامت جمعية الاتحاد التريقي سنة 1908 بخلع السلطان عبد الحميد الثاني³، وقد نتج عن خلع السلطان عبد الحميد الثاني وصول الاتحاديين إلى السلطة على كل من الولايات الليبية الثلاثة، طرابلس، برقة وفران.

لقد استقبل الأهالي في طرابلس الغرب الانقلاب على السلطان عبد الحميد وقيام الحكم الدستوري سنة 1908 بترحيب وأمل، فقد اعتبروه بداية عهد جديد من الإصلاح شأنهم في ذلك شأن بقية العرب في أقاليم الدولة العثمانية، ولكن لم يلبث أن خاب أمل أهل طرابلس بسبب الاتحاديين الذين اتبعوا الأسلوب المركزي في الحكم وعينوا في الولاية موظفين غرباء عنها رغم المطالبة بأن يكون الموظفون من أهل الولاية يعرفون لغتها، وكانت عدم معرفة الموظفين بلغة البلاد مثار شكوى الأهالي الذين كان عليهم أيضا أن يكتبوا معاملاتهم باللغة التركية دون العربية تنفيذا لسياسة التتريك التي كانت إحدى السمات الأساسية لحكم الاتحاديين⁴.

إن اهتمام الدولة العثمانية بتقوية ليبيا وتنظيم شؤونها ظهر من جديد منذ أعلنت فرنسا حمايتها على تونس، فاهتمت بتحصين طرابلس وزادت الحامية في البلاد، لكنها

¹ - الطاهر أحمد الزاوي، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، ط3، لندن، الناشر دارف المحدودة، 1984، ص ص 29-30.

² - نقولا زيادة، المرجع السابق، ص 57.

³ - أنور الجندي، تصحيح أكبر خطأ في تاريخ الإسلام الحديث، السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية، القاهرة، مكتبة السنة، ص 89.

⁴ - منسى محمود حسن صالح، المرجع السابق، ص 07.

اضطرت في عام 1911 قبيل الهجوم الإيطالي لسحب جزء كبير من الجيش وإرساله إلى اليمن لإخضاع الثورة التي قامت فيها¹.

كان لحقي باشا الذي كان سفيرا للدولة العثمانية في روما دوره في سحب القوات العثمانية فبعد أن سألته المسؤولين في الباب العالي حينما حاولوا سحب القوات العثمانية من ليبيا لإرسالها إلى اليمن عن المخاوف من إيطاليا على ليبيا أجاب بالنفي، وأضاف بأنه يمكن للدولة أن تسحب ما تشاء من حامية طرابلس لنجدة اليمن².

ومثل هذا كثيرا من أسباب الضعف التي جعلت مركز البلاد ضعيفا في الدفاع سواء من الناحية المادية أو الناحية المعنوية اللهم إلا ما كان من بعض القلاع في العاصمة، وكانت هذه القلاع لا تمتد إليها يد الإصلاح إنما في القليل النادر³.

وما زال إهمال الحكومة العثمانية لولايي برقة وطرابلس يحتاج إلى تفسير فقد أهمل تحصين السواحل مع أن موقع الولاية المتطرف كان يتطلب أجهزة دفاع أقوى، كما شتتت القوات العثمانية في الداخل واستجابت وزارة حقي باشا لرغبة الحكومة الإيطالية حينما طلبت إليها عزل والي طرابلس الذي يعرقل نشاط الإيطاليين⁴.

تنحصر الأحداث الرئيسية التي وقعت خلال هذه الفترة الأخيرة من عمر ولاية طرابلس الغرب فيما بدلته تركيا من مجهودات لتوطيد سيطرتها التي أخذت تشعر شيئا فشيئا بأنها مهددة، كما تتمثل في محاولاتها في التغلغل صوريا على الأقل في المناطق الصحراوية⁵.

وهكذا لم يرتبط الحكم العثماني في ليبيا بسياسة واضحة ومرسومة لحكم البلاد وتنميتها والأخذ بيدها، بل كان هذا الحكم في مجمله غير قادر على إدارة هذه البلاد بطريقة سليمة⁶.

¹ - شوقي عطا الله الجمل ، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم ، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ، ط2 ، الرياض ، دار الزهراء ،

2002 ، ص 207.

² - هاشم خيالة سامي ، المرجع السابق ، ص 27-28.

³ - الطاهر أحمد الزاوي ، المصدر السابق ، ص 30.

⁴ - صلاح العقاد ، المرجع السابق ، ص 7-8 .

⁵ - شارل فيرو، الحوليات الليبية من الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي ، ترجمة محمد عبد الكريم الوافي، بنغازي، جامعة قاريونس، ص 523.

⁶ - عبد المنعم الجميبي ، الدولة العثمانية والمغرب العربي ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، 2007 ، ص 42.

2- الاتفاقيات الإيطالية الأوروبية :

قامت إيطاليا بالتفاوض مع الدول الأوروبية المعنية بالتنافس الاستعماري لتحصيل على موافقة بعضها ومساعدة بعضها للآخر للوصول إلى غايتها، ولاسيما بعد أن اصطدمت باحتلال فرنسا لتونس في 1981، وبعد أن رأت عدم جدوى سياسة الأفراد، واقتنعت بصغر شأنها في الميزان الدولي لقلة تجارها وقلة خبرتها في محيط السياسة العالمية، واتجهت إلى سياسة الأحلاف وعقد الاتفاقيات لضمان مصالحها في ليبيا¹.

انضمت إيطاليا إلى جانب ألمانيا والنمسا في تحالف ثلاثي في 20 ماي 1882م بعد أن أعلنت فرنسا حمايتها على تونس سنة 1881م، وأخذت تعمل للاستيلاء على إفريقيا الشمالية، وقد نص على أن تساعد النمسا وألمانيا إيطاليا في حالة هجوم فرنسا عليها، وأن تساعد إيطاليا ألمانيا إذا هاجمتها فرنسا أما في حالة هجوم روسيا وفرنسا على واحد أو اثنين من الأطراف الموقعة فيجب أن تدخل كل الدول الموقعة الحرب متحدة، وعلى هذا النحو ربط بسمارك ألمانيا بمعاهدات تحالف ودفاع ضد كل من روسيا وفرنسا في نفس الوقت².

نجحت إيطاليا في الحصول على موافقة ألمانيا بالنسبة لطرابلس ومثلها من النمسا والمجر فيما يتعلق بالبلقان، وإن كانت إحدى الموافقتين مشروطة بحدوث تغيير في الوضع الراهن في منطقة البحر المتوسط أو البلقان، وفي الوقت الذي وعدت فيه ألمانيا بتقديم مساعدة مسلحة لإيطاليا لم تتعهد النمسا والمجر إلا بأن تنال إيطاليا تعويضاً لم تحدده وإن كان القصد ينصرف إلى جزء من منطقة البلقان³.

توصلت إيطاليا إلى اتفاقية سرية مع بريطانيا في 12 فبراير 1883 اتفق فيها الطرفان على العمل للمحافظة على الوضع القائم في البحر المتوسط والأدرياتيك وإيجة والأسود، وللحيلولة دون حدوث تغيير فيها يضر بمصالحها عن طريق الضم أو الحماية أو أية وسيلة أخرى، وأنه إذا استحال ذلك فإن الطرفين متفقان على ما يجب عمله في هذا الشأن، وستؤيد إيطاليا أعمال بريطانيا وتصرفاتها في مصر، وفي مقابل ذلك ستساند

¹ - هاشم خيالة سامي ، المرجع السابق ، ص 32.

² - عبد العظيم رمضان ، تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث ، ج 2 ، القاهرة ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1997 ، ص ص 183 - 184.

³ - عبد المنصف حافظ البوري ، الغزو الإيطالي لليبيا ، دراسة في العلاقات الدولية ، الدار العربية للكتاب ، 1983 ، ص 187.

بريطانيا الأعمال التي ستقوم بها إيطاليا في أية ناحية من سواحل شمال إفريقيا ولاسيما في طرابلس الغرب وبرقة¹.

عند تجديد معاهدة الحلف الثلاثي في سنة 1902، ألحق بها اتفاق نمساوي إيطالي بتاريخ 30 جوان جاء فيه : "فيما يتعلق بالمحافظة على الوضع الراهن لأراضي الشرق، فإن الحكومة النمساوية المجرية ليست لها أية مصالح معينة تريد الحصول عليها في طرابلس وبرقة، لذا فقد قررت اتخاذ أي حركة أو إجراء من شأنه عرقلة أعمال إيطاليا، وفي حالة ما إذا اضطرت المملكة الإيطالية إلى اتخاذ تدابير حازمة عند تغيير حالة البلدان الشرقية".

هذا الاتفاق جاء في شكل صريح من قبل النمسا ، نجحت الدبلوماسية الإيطالية في الحصول عليه ليكون بمثابة الاعتراف من حكومة فيينا بإطلاق يد إيطاليا في ولاية طرابلس².

عندما حل موعد تجديد الاتفاقية الإيطالية البريطانية في سنة 1902 أصرت إيطاليا على عدم تجديدها إلا إذا اعترفت بريطانيا بحق إيطاليا في احتلال طرابلس الغرب وبرقة، فاعترفت بريطانيا بذلك مقابل تعهد إيطاليا بمساعدة بريطانيا في المسألة المصرية وعدم اتخاذ أية خطوات عدائية نحو الإمبراطورية البريطانية³.

وفي الوقت نفسه بذلت إيطاليا مع فرنسا موازية لمساعدتها مع إنجلترا بعد سياسة المجافاة التي كانت تتبعها إيطاليا نحو فرنسا عقب احتلال الأخيرة لتونس، فقد أدرك الإيطاليون بأنهم لا يستطيعون تحقيق مآربهم إذا ظلوا على خلاف معها⁴، وقد بادرت الحكومة الإيطالية بالفعل إلى الاعتراف بالاحتلال الفرنسي لتونس في 28 سبتمبر 1896، وبالمقابل مُنح الإيطاليون في تونس امتيازات اجتماعية وقضائية ووعدوا بمعاملة أفضل من قبل السلطات الفرنسية فيها⁵.

¹ - مسني محمود حسن صالح ، المرجع السابق ، ص 29.

² - عبد المنصف حافظ البوري ، المرجع السابق ، ص 191.

³ - مسني محمود حسن صالح ، المرجع السابق ، ص 29.

⁴ - المرجع نفسه ، ص 31.

⁵ - عبد المنصف حافظ البوري ، المرجع السابق ، ص 223.

تحسنت العلاقات الدبلوماسية بين الطرفين، وقد أبرم اتفاق بينهما في 14 جوان 1900 تضمن عدم منافسة فرنسا لإيطاليا في ليبيا واستندت على اتفاقية 1899 من حيث إبقاء ولاية طرابلس خارج تقسيم النفوذ الذي قرره¹.

بعدها عقدت معها اتفاقية سرية في سنة 1902 تشير إلى إطلاق يد فرنسا في المستقبل في مراكش نظير حرية تصرف إيطاليا في ولايتي برقة وطرابلس². توطدت العلاقات بينهما أكثر وتقربت إيطاليا من فرنسا، فقد وقفت إيطاليا في مؤتمر الجزيرة في سنة 1906 إلى جانب فرنسا، وحصلت منها على الضمانات السابقة بحرية تصرفها في ليبيا نتيجة موقفها هذا³.

عندما قررت النمسا في 07 أكتوبر 1908 ضم البوسنة والهرسك العثمانيتين اللتين كانتا تحت إدارتها بمقتضى معاهدة برلين 1878م، مع معارضة الصرب هذا الضم، انتهزت إيطاليا الفرصة لتحقيق مطامعها في برقة وطرابلس عن طريق عقد اتفاق سري مع روسيا ينص على تعاون الدولتين في منطقة الشرق الأدنى ضد النمسا والمجر، وتأييد إيطاليا مطلب روسيا في فتح المضائق البوسفور والدردنيل أمام السفن الروسية، وتعهدت روسيا بتأييد مطالب إيطاليا في برقة وطرابلس⁴.

قامت الحكومة الإيطالية أثناء أزمة مراكش بنشاط دبلوماسي واسع في عواصم الدول الأوروبية، وطالبت عبر السفير الفرنسي في روما وعن طريق سفيرها في باريس بضرورة تنفيذ اتفاقية عام 1902 مستندة إلى موقفها المؤيد الذي قدمته لفرنسا في قضية مراكش⁵.

إثر ذلك أصبح الطريق ممهدا أمام إيطاليا للقيام بغزوها الاستعماري حيث أشار وزير الخارجية الإيطالي عام 1911 أنه لا توجد في الوضع الدولي الحالي عقبات سياسية يمكن أن تعترضها لاحتلال طرابلس وبرقة، لأن فرنسا لا تستطيع أن تعارض بموجب الاتفاقية، أما بريطانيا وألمانيا والنمسا المجر فإنها ستنظر إلى هذه الخطوة باستياء ولكنها لن تجد

¹ - هاشم خيالة سامي ، المرجع السابق ، ص 39.

² - صلاح العقاد ، المرجع السابق ، ص 11.

³ - هاشم خيالة سامي ، المرجع السابق ، ص 40.

⁴ - عبد العظيم رمضان ، المرجع السابق ، ص 189.

⁵ - عبد المنصف حافظ البوري ، المرجع السابق ، ص 325.

إمكانية لعرقلتها خصوصا إذا تمت بسرعة، وقد حصلت على موافقة الدول الكبرى على احتلالها النهائي لطرابلس¹.

هكذا تمكنت إيطاليا بنجاح من بناء شبكة من التحالفات الدولية مؤيدة لمصالحها في ولاية طرابلس وكان ذلك أحد الشروط الضرورية لإطلاق حملة الغزو العسكري². بعد أن توصلت إيطاليا في الحصول على اعتراف الدول الأوروبية الكبرى بأطماعها في طرابلس وبرقة وتأييدها لها رأت أنه عليها أن تدعم مركزها وتغلغلها في الولاية للاستحواذ عليها، وتخلق لنفسها حقوق في الولاية حتى يسهل عليها طريق الاحتلال المباشر³.

3- التغلغل الإيطالي في ليبيا :

لم تقتصر جهود إيطاليا على هذه التمهيدات في الحقل الدبلوماسي بل أنها أخذت تتسلل بنفوذها الاقتصادي إلى الأراضي الليبية ذاتها⁴.

في خلال فترة 1882/1896م تزايدت النشاطات التبشيرية الإيطالية في ولاية طرابلس، وخاصة في مجال التعليم، وأقبل بعض الضباط العثمانيين على إرسال أبنائهم إلى هذه المدارس فأصدر الوالي كمال باشا (1893/1908) قرار في 21 جويلية 1898 منع بموجبه أبناء ضباط الجيش العثماني من الانتساب إلى هذه المدارس وضرورة تحويل أبنائهم إلى المدارس الحكومية العثمانية⁵.

كان لإيطاليا خمس مدارس حكومية في مدينة طرابلس وهي تتكون من : رياضة أطفال بثلاثة أقسام، وفقا لمنهج فروبل البشري، ومدرسة ابتدائية للذكور، مدتها خمس سنوات وأخرى للإناث ومدرسة فنية تجارية مدتها أربعة سنوات⁶. أرسلت إيطاليا عديد البعثات إلى طرابلس الغرب خلال هذه الفترة، فقد قامت بزيارتها بناء على مبادرة من الجمعية الإيطالية للاستكشاف الجغرافي والتجاري التي كانت مدينة

¹ - هاشم خيالة سامي ، المرجع السابق ، ص 41.

² - عبد المنصف حافظ البوري ، المرجع السابق ، ص 244.

³ - منسى محمود حسن صالح ، المرجع السابق ، ص 33.

⁴ - صلاح العقاد ، المرجع السابق ، ص 12.

⁵ - محمد علي الصلابي ، الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا ، ج 1 ، القاهرة مكتبة التابعين ، 2001 ص 293.

⁶ - فرانثيسكو كورو ، ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني ، تعريب وتقديم خليفة محمد التليسي ، ط 1 ، طرابلس ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، 1971 ص 102.

ميلانو مركزا لها، وبإيعاز من رئيسها "كامبيرو" مدير بعثات كثيرة¹، منها بعثة هايمان في سنة 1882، بعثة إدوارد دودسون في سنة 1901، بعثة فيناسادي ريني في سنة 1903، وقد أثارت اهتماما خاصا لدى الإيطاليين الأحداث التي صاحبت رحلة سفورزا للبحث الجيولوجي والتنقيب عن المعادن، وقد وجدت بطرابلس الغرب عند نشوب الحرب التركية الإيطالية².

وفي سبتمبر 1904 بدأ العملاء الإيطاليون يوجهون إلى ليبيا تحت أسماء مستعارة بحجة البحث عن عمل، وقد زود كل منهم بكمية ضخمة من النقود، وكانت مهمته تتعلق بجمع المعلومات المتعلقة بالاتجاهات النفسية لسكان البلاد، وبالتقرب من رؤساء القبائل وأعيان منطقة طرابلس وتبيان موقعهم من إيطاليا وإمكانية توقع السند منهم في حالة التدخل الإيطالي، وكان رجال الاستخبارات الإيطاليون يدرسون عادات العرب وتقاليدهم بوجه خاص ويبينون علاقاتهم بالسلطات التركية³.

استمرت بمحاولاتها الرامية لتأكيد مظاهر نفوذها في ولاية طرابلس وساهمت صحافتها في ذلك عن طريق مجاهرتها بالدعوة إلى احتلال الولاية والتقليل من شأن العثمانيين والطرابلسيين بعدم أهليتهم لحكم الولاية وإدارتها⁴.

قامت الملاحه العامة الإيطالية منذ سنة 1901 بربط الموانئ الإيطالية برحلات أسبوعية بين تونس وطرابلس ونصف شهرية بين بنغازي ودرنة⁵.

أسس فرع بنك روما في طرابلس سنة 1905 على أثر الدعاية الإيطالية ضد الدولة العثمانية واكتتب البابا بالثلثين من مجموع رأس ماله⁶.

¹ - محمد علي الصلابي ، المرجع السابق ، ص 294.

² - فرانثيسكو كورو ، المرجع السابق ، ص 145-148.

³ - نيكولاي إيليتش بروشين ، تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام 1969 ، ترجمة وتقديم حاتم

عماد ، ط2 ، بيروت ، دار الكتب الجديدة ، ص 104.

⁴ - محمد علي الصلابي ، المرجع السابق ، ص 293.

⁵ - فرانثيسكو كورو ، المرجع السابق ، ص 60.

⁶ - الطاهر أحمد الزاوي ، المصدر السابق ، ص 31.

وظف المصرف العديد من التجار اليهود والمسلمين الليبيين كوسطاء بين البنك والأهالي، بدأ نشاطه بفتح فروع في معظم المدن المهمة في الولاية، بعدها بدأ في الاستثمار في العقارات وشراء الأراضي¹.

كانت مهمته الأولى هي إقراض الأموال بضمان من أصحاب الأملاك فإذا لم يف المقترض بالدين في الأجل المحدد استولى البنك على العقار أو الأراضي محل الضمان، وحتى يتوسع المصرف في أعمال الاستيلاء هذه كان يقدم القروض لأي شخص يستطيع الحصول على ضمان طرف ثالث من الملاك إذا لم يكن لدى المقترض ملكية خاصة²، واتخذ الإيطاليون منه مركزا للدعاية، وأسندوا إدارته إلى براشيانى أحد دعاة السياسة، وكان رئيس البنك كثير التجول في ليبيا لبث الدعاية المغرضة والإطلاع على أحوال البلاد، وكان يبذل المال عن سعة، وفي كل مناسبة، ويتصل بالأعيان يتخذ منهم أصدقاء³. جعل المصرف إيطاليا الشريك الأول لتجارة الولاية الخارجية، وكذلك نجح بالتعاون مع القنصلية الإيطالية في نشر اللغة الإيطالية⁴.

كان الوالي رجب باشا (1904/ 1908م) معارضا لتأسيسه لأنه أدرك بأن مثل هذه المشروعات الاقتصادية ما هي إلا وسيلة لتحقيق أهداف سياسية أخرى، لكن حكومة الأستانة أوعزت إليه بعدم التشدد خوفا من القلائل السياسية فأنشئ البنك رغم أنفه بدون استصدار مرسوم من حكومة الأستانة أو موافقة الحكومة المحلية.

كذلك أذنت الحكومة العثمانية للإيطاليين في إنشاء مكاتب للبريد الإيطالي وكانت هذه المكاتب منتديات يجتمع فيها سياسيو بنك روما لتدبير الحيل للتعجيل باحتلال طرابلس⁵ وهيئة الأفكار للانصراف عن العثمانيين وتسليم البلاد للإيطاليين⁶.

¹ - علي عبد اللطيف حميدة ، المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا ، دراسة في الأصول الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لحركات التحرر وسياسات التواطؤ ومقاومة الاستعمار 1830-1932 بيروت ، نشر مركز دراسات الوحدة العربية ، 1998 ، ص ص 69 - 70 .

² - صلاح العقاد ، المرجع السابق ، ص 12 .

³ - شوقي عطا الله الجمل ، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث ، ط 1 ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1977 ، ص 371 .

⁴ - علي عبد اللطيف حميدة ، المرجع السابق ، ص 71 .

⁵ - شوقي عطا الله الجمل ، المغرب العربي الكبير في الفترة الحديثة ، المرجع السابق ، ص 371 .

⁶ - الطاهر أحمد الزاوي ، المصدر السابق ، ص 33 .

وجد عدد كبير من أصحاب النفوذ في طرابلس وظائف في بنك روما وأصبحوا يأخذون مرتبات منه حسبما يقدمونه من خدمات ضد وطنهم وهكذا أصبحت لإيطاليا شبكة من الأنصار في جميع مصالح الحكومة الحيوية كالتلغراف والتلفون والبريد. وأنشأ البنك مطبعة وجريدتين تتحدثان باسمه (إيكودي تريپولي) و (استيلا) (Echo De Tripoli) و (Stela) ¹.

كانت الدعاية الإيطالية تقوى وتضعف تبعا لقوة إرادة الوالي وضعفها ولشدة معارضة السياسة الإيطالية ومسايرتها ².

ووصل الأمر إلى أن الحكومة الإيطالية كانت تتدخل لعزل الولاة الذين حاولوا الوقوف في وجه الأطماع الإيطالية، فحين أظهر إبراهيم أدهم باشا الذي تولى أمر الولاية عام 1909 اتجاها إلى إصلاح الأحوال وطالب تركيا بإرسال كميات من السلاح ليدعم قوة ليبيا الدفاعية، ووقف في وجه نفوذ بنك روما في طرابلس وتشعب نشاطه طلبت إيطاليا عزله فعزل في سبتمبر 1911 م ³.

كانت إيطاليا عازمة على احتلال ليبيا، وبذلت من خلال كل هذا جهدا كبيرا على مستوى الولاية نفسها إلى أن شدة تمسك الدولة العثمانية بالولاية في زمن السلطان عبد الحميد الثاني، وقوة نفوذ الحركة السنوسية في دواخل ليبيا وحسن التنسيق القائم بين الطرفين، كل ذلك أدى إلى تأجيل إيطاليا تنفيذ مشروعها الاستعماري حتى عام 1911 ⁴. قبل أن تسير إيطاليا ضد القطر الليبي حملتها العسكرية شنت عليه وعلى الدولة العثمانية صاحبة السيطرة عليه حملة إعلامية تمهيدا للغزو، ولخلق الجو المناسب لهذا الغزو على الأصعدة الليبية والعثمانية والإيطالية والدولية أي تهيئة الرأي العام ⁵.

هكذا مهدت إيطاليا دوليا باتفاقية معه الدول التي يهمها الأمر وداخليا بدراسة الأوضاع في ليبيا والانتشار في مختلف الميادين والارتباط بالعديد من الشخصيات الليبية

¹ - شوقي عطاالله الجمل ، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث ، المرجع السابق ، ص 372.

² - الطاهر أحمد الزاوي ، المصدر السابق ، ص 34.

³ - شوقي عطاالله الجمل ، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث ، المرجع السابق ، ص 373.

⁴ - محمد علي الصلابي ، المرجع السابق ، ص 296.

⁵ - منسى محمود حسن صالح ، المرجع السابق ، ص 39.

الهامة فلم يكن أمام إيطاليا إلا أن تختار الوقت لتجسيد هدفها¹، وهذا ما تم في سبتمبر 1911.

خاتمة :

يتضح لنا مما سبق أن إيطاليا احتلت ليبيا بعد سلسلة من المساومات الدولية مع القوى الأوروبية بدخولها في تحالفات جماعية وثنائية للانفراد بمستعمرة ليبيا مقابل استحواذ القوى الأخرى على مستعمرات لها، مستثمرة في أوضاع ليبيا أواخر العهد العثماني الثاني المتميزة بالضعف الاقتصادي والعسكري والتناحر السياسي والاجتماعي بين السلطة العثمانية والشعب الليبي خاصة بوصول الاتحاديين إلى حكم الدولة العثمانية سنة 1908 وابتاعهم سياسة التتريك.

إن الغزو العسكري لليبيا سبقه تمهيد اقتصادي إيطالي في ليبيا بعدة أشكال تنوعت من مدارس حكومة، بنوك، رحلات علمية، خطوط بحرية، مراكز بريد....، وطدت النفوذ الإيطالي بليبيا، جعلتها شريكا هاما في تجارتها الخارجية، دعمت مركزها وخلفت لها حقوق في ليبيا سهلت عليها الاحتلال المباشر في سبتمبر 1911.

¹ - شوقي عطا الله الجمل ، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث ، المرجع السابق ، ص 373.